غنيمة المؤمن
في خير أيام الدنيا

تأليف
عادل بن عبد العزيز الجهني

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله اللطيف الخبير، الجواد الكريم، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ مَنْ نَصَحَ أمّته، ودلّهم إلى طريق الخير والهدى والرشاد، وبعد:

فلقد أسبغ اللهُ على عباده النعم، وتفضّل عليهم بتهيئة مواسم الخيرات لهم، لتزداد حسناتهم، ويتقرّبون لربهم بما ينفعهم، ومن هذه المواسم وأجلّها فضلًا **(العشر الأوائل من ذي الحجة)**، هذه الأيّام الفاضلة التي جعلها الله غُرة أيّام الدهر ، وختام مسك العام.

ومن رحمة الله -وهو الكريم الخبير، اللطيف بعباده، العليم بضعفهم- أن يهيئ لهم مواسم فاضلة لاكتساب الحسنات والباقيات الصالحات.

ومن لطفه ورحمته -أيضًا- أن جعلها قصيرة ولكنّ أجورها كثيرة ومضاعفة، فهي "خَيْرُ أيّامِ الدُنيَا"(١).

وأقسم بها سبحانه، فقال: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢﴾(٢).

وعلى الصحيح من أقوال أهل العلم أنها العشر الأوائل من ذي الحجة.

وهذه العشر بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضلها بقوله: "ما من أيَّام العملُ الصَّالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللهِ من هذه الأيَّام العشرِ، قالوا: يا رسولَ اللهِ ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ؟ فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ إلَّا رجل خرج بنفسِه ومالِه فلم يرجِعْ من ذلك بشيءٍ"(٣).

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما من أيَّامٍ" يشمل جميع أيام العام كلها بما فيها العشر الأواخر من رمضان، على أنّ أهل العلم قد اختلفوا أيهما أفضل العشر الأوائل من ذي الحجة أم العشر الأواخر من رمضان؟

---

(١) كما صح بذلك الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء عند البزّار

(٢) [سورة الفجر: الآيات ١-٢]

(٣) رواه البخاري.

ورجحت طائفةٌ منهم أنّ العشر الأوائل من ذي الحجة أفضل إلا ليلة القدر من العشر الأواخر من رمضان وقد اختار هذا القول الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى.

ومن لاحظ حال غالب المسلمين -حتى المجتهدين منهم في الطاعات- يجدهم يجتهدون في رمضان، -والعشر الأواخر منه على الخصوص- أكثر من اجتهادهم في العشر الأوائل من ذي الحجة مع أفضليتها، وما ذاك -والله أعلم- إلا لاجتماع النّاس فيه على العبادة، ولاستقرار مكانة العشر الأخير من رمضان في نفوس المسلمين أكثر من هذا الموسم -وفي كلٍ خير-.

وحتى تُعظّم -يا عبد الله- هذه الأيّام، وتُعظِّميها يا أمة الله انظروا كيف علّق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأفضلية على غيرها بالجهاد، وقتل النفس في سبيل الله فقط، فهذا هو العمل الوحيد الأفضل في غير عشر ذي الحجة.

ومعلوم مكانة الجهاد ومكانة القتل في سبيل الله، وأنّه من أعظم الطاعات والقربات، ولكنّه هو المستثنى فقط من الأفضلية

من العمل الصالح في غير عشر ذي الحجة أما غيره فلا، مهما علا شأنه وارتفعت مكانته ومنزلته.

فهـذا الحديث فيه تحفيز كبيـر من نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبذل العبد قُصارى جهده في العمل الصالح هذه الأيّام -وإن كان يسيرًا بسيطًا في نظر فاعله -إلا أنّ له من المكانة العالية عند الله من تعظيم الأجر وزيادة الثواب، وذلك فضل الله، وهو الجواد الكريم.

ومما ميّز الله به هذه العشـر وقـوع أعمال الحُجّاج فيها، ففيها طـواف القدوم وسـعي الحـج للقـارن والمفـرد -إذا أراد تقديم السعي- وفيه البقاء والمبيت بمنى يوم الثامن -وهو السُنّة للحاجِّ -وفيها يوم عرفة وما أدراك ما يوم عرفة!!

وفيها المبيت بمزدلفة، وفيها يوم النحر والأعمال الكثيرة مِنْ الرمي والحلق والطواف والسـعي ونحر الهدي، في أعمالٍ جليلة يقوم بها الحاجُّ في خير الأيام عند الله.

ولكـن من رحمة الله أنّ الفضل هذه الأيّام لم يجعله للحُجّاجِ فقـط، فالمؤمنُ يتقرّب لربه بأعمال صالحـة، وهو في بلده بأنواع الطاعات، وذلك فضلٌ من الرحمن.

ألفاظ الأحاديث الدالة على فضلها:

تأمّل في ألفاظ الأحاديث المتعلقة في هذه العشر ففي حديث ابن عباس: "مَا مِن أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ العشر"(١).

وفي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "ما مِنْ أَيَّامٍ أَعظَمَ عِندَ اللهِ، ولا أَحَبَّ إِلَيهِ مِنَ العملِ فيهِنَّ مِن هذِه الأَيَّامِ العَشرِ؛ فأَكثِرُوا فيهِنَّ مِنَ التَّهليلِ، والتَّكبيرِ، والتَّحميدِ"(٢).

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "مَا مِنْ عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى.."(٣).

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا: "ما العَمَلُ في أَيَّامٍ أَفْضَلَ منها في هذه"(٤).

وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أفضلُ أيامِ الدُّنْيَا"(٥).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه الدارمي، وإسناده حسن.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البزّار.

وفي فضل يوم عرفة -وهو اليوم التاسع منها-: "مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةْ"(١).

وفي فضل يوم النحر -وهو اليوم العاشر والأخير منها -: "إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرّ"(٢).

فهذه الألفاظُ الكثيرةُ المتنوّعةُ تدلُّ دلالة واضحة على مكانة هذه الأيام عند الله، وعظيم منزلتها، ورفعة العمل الصالح فيها، ومضاعفة الأجر فيها.

❋❋❋

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود وأحمد.

معيناتُ التعبّد في العشر

هـذه الأيّام المباركـة، والليالي الفاضلة ينبغـي أن تكون زادًا للمؤمـن في حياته الدنيـا يتزوّد منها لـدار الجـزاء والبقاء، وهذه بعض مُعينات للعبادة في هذا الزمان الفاضل:

۞ أولًا: تذكّر فضلها ونفاسة وقتها.

قـد تقدّم في الأحاديث أنّها خيرُ أيام الدنيا وأنّ العملَ الصالح فيهـا (أحـبُّ، وأعظمُ، وأزكـى، وأفضـلُ) وأرفعُ منزلـةٍ عند الله تبارك وتعالى، واللحظة فيها لها شـأنها، والدقيقة من وقتها عزيزة وشـريفة، فـإنِ ركعت فيها ركعـة، أو قرأت فيها آية، أو اكتسـبت فيها تسـبيحة أو تحميدة أو تلهلية أو تكبيرة فهي خير من بقية دنيا الناس، فانظر لها هذه النظرة واستحضر فضلها في كل لحظة.

۞ ثانيًا: استقصار مدتها.

هذا الموسـم مدته عشـرة أيام فقط، بمقدار (مائتان وأربعون ساعة) سرعان ما تمضي وتتصرّم أيامها وساعاتها، فخاطب نفسك أنه إذا انقضت سـاعة أن تقول لها: قد مضت سـاعة؛ وإن انقضى

يـوم أو ليلة فقل: يا نفسـي هـا قد مضى يوم (واليـوم كثير في هذا الزمان النفيس) والصالحون والمتاجرون مع ربهم يعرفون معنى انقضاء الساعات والأيام من حياتهم، فكيف بالأزمة والفاضلة!

فاجتهد أن تكون أحرص الناس على استغلال كل ساعة منها.

وإن ضعفت نفسُك ساعة، أو كسلت يومًا أو ليلة فردّها لجادّة النشاط، وسبيل المجتهدين.

۞ ثالثًا: مجاهدة النفس.

أيقن أيّها المؤمن... وأيقني أيتّها المؤمنة

أن لا سـبيل لبلـوغ الدرجـات العلى في أعالـي الجنان، ونيل رضـا الرحمن، وبلـوغ الهداية في الداريـن إلا بالصبر والمصابرة والمجاهدة.

فالإمسـاك بالمصحـف والجلـوس سـاعات يحتـاج صـبر ومجاهدة.

والجلـوس لذكر الله والاسـتغفار في سـاعات ليلـك ونهارك يحتاج إلى صبر ومجاهدة.

وصيامك وامتناعك عن الطعام والشراب والشهوة يحتاج إلى صبر ومجاهدة.

وصدقتك وإخراج ما تحب من المال يحتاج إلى صبر ومجاهدة... وغيرها من الطاعات.

ولولا المجاهدة لرأيتَ النّاس كلَهم عبّاد وركّعًا سجّدًا، ولكن من علِم عظيم الثواب، وقصر الدنيا، وطول البقاء في القبور، وأبدية الدار الآخرة هانت عليه المشاق واستحضر فضل المجاهدة.

۞ رابعًا: استحضار فضل الحسنات الباقيات الصالحات.

يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾[1].

أيّها العابدُ ... أيّها الساجدُ ... أيّها التالي ... أيّها الذاكرُ ... أيّها الصائمُ، لئن تفاخر الناسُ بالأنساب، أو تباهوا بالأموال، أو

(١) [سورة سبأ: الآية ٣٧]

اعتـزّوا بالأصحاب، فأيقن أنّه لا فخـر إلا بالباقيات الصالحات، وصدق ربي إذ يقول: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[1].

فتأمّـل قولـه ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ فـلا بقـاء إلا للأعمـال الصالحـة، وتعظـم منزلتها في الزمـان النفيس كزماننـا هذا، فعند المـوت لا يتمنـى الميّتُ إلا العمـل الصالح لظهـور فضله على الحقيقة، ووضوح أهميته في هذه الساعات.

قـال تعالـى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.[2] فهو لا يريد من الدنيا رسـومها ولا أسـمائها ولا مناصبها وأموالها؛ وإنّما يريد فقط الرجوع ليعمل صالحًا، فدونك هذا الموسم وقد بلغته، وحُرمه غيرُك، فالفرصة بين يديك للتزود من هذه الباقيات الصالحات.

(١) [سورة الكهف: الآية ٤٦]

(٢) [سورة المؤمنون: الآية ٩٩]

۞ خامسًا: كن جادًا مع نفسك في اغتنام الموسم.

تنقل لنا كتب السير حال سعيد بن جُبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلميذ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وراوي حديث فضل العمل في العشر وأنه كان إذا دخلت العشر -لا يكاد يُقدر عليه، فهو قد ألزم نفسه العبادة، واجتهد اجتهادًا حتى يرى من حوله أنّ مثل هذا لا يُقدر الجلوس معه، فقد هجر الجلسات الفارغة، وتضييع الوقت على التُرّهات، وأجزمُ أنّ كثيرًا من الصالحين من بعده قد سلكوا مسلكه، وإن لم تُنقل لنا سيرهم في هذه العشر، ولك أن تتخيّل ذلك الزمان، وندرة الفتن فيه، ومضيّعات الوقت.

أما زماننا فإن سلمت من مباح، فلن تسلم من مضايقة صاحب، أو مزاحمة وسيلة تواصل لتسرق منك ساعات هذه الليالي والأيام، ولذا: إذا رمت اغتنامها فلن تستطيع إلى ذلك سبيلًا إلا (إذا كنت جادًا مع نفسك، معظِّمًا لزمانك، بعيدًا عن المجاملات للآخرين، صادقًا في طلبك لمرضاة الله، عظيم الرغبة في الدرجات العلى وكسب الأجر واغتنام هذا الزمان)

فكن ذلك المرء المغتنم لهذا الزمان.

عبادات في العشر
تتطهر بها النفوس وترتفع بها الدرجات

۞ أوّلُ هذه العبادات، وأزكاها وأرفعها منزلة: الصلاة.

فالصلاةُ عبادةٌ عظيمة جليلة، أحبها الله ففرضها خمس مرات في اليوم وليس لها مثيل من العبادات، وجعل لها نوافل متصلة بها ومفصلة عنها، وهذا يُنبئك على أهميتها ورفعة شأنها.

فحريٌ بالمؤمن والمؤمنة أن يُحبوا هذه الصلاة كما أحبها رسولهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد كانت "قرة عينه الصلاة"

وأن يجعلوها أعظم الأمور في حياتهم، وأن يجتهدوا أن يؤدوها على أكمل حال، وأحسن هيئة، وأن يسعوا لإدراك لذتها وحسنها.

ومن رحمة الله أن جعل لها نوافل لتزيد في درجات العبد، ومن هذه النوافل: السنن الرواتب (وهي ركعتان قبل صلاة الفجر، وأربع ركعات قبل صلاة الظهر وركعتان بعدها، وركعتان بعد صلاة المغرب، وركعتان بعد صلاة العشاء).

فلعلك أن تُتاجر مع ربك، وتجعل هذا الموسم بداية العهد بها، فتحافظ عليها لفضلها على العموم ففيها "كل يوم بيتٍ في الجنّة" كما صح بذلك الحديث.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من صلاها كل يوم بُني له كل يوم بيتٌ في الجنّة)

وفضلها يتضاعف في هذا الموسم على الخصوص لفضل الزمان، فأقبل عليها بصدر منشرح، وعزيمة صادقة.

۞ ومن الصلوات المسنونة: صلاة الضحى:

وهي العبادة الجليلة التي تؤدي بها زكاة بدنك وتسمو بها روحك، وفي الحديث: أنّ رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيما يرويه عن اللهِ عَزَّوَجَلَّ أنه قال: "ابنَ آدمَ اركعْ لي أربعَ ركَعاتٍ من أولِ النهارِ أكْفِكَ آخِرَه"(١).

وقيل: هي سُنّة الضُحى.

(١) رواه الترمذي.

ومـن النوافل وقلما يتفطن لها أحدٌ: العبادة وقت الغفلة-كما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء- فهما وقتان يغفل فيهما الناس غالبًا، والعبادة في وقت الغفلة يعظم بها الأجر، وذكر بعـض أهل العلـم في قولـه تعالـى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[1]. إنهـا الصلاة بين المغرب والعشاء.

فإن استطعت أن تعبد الله في هذه الأوقات فافعل فأنت: تؤدي صلاة، وتعبد وقت غفلة الناس، وفي عشر مباركة.

ومن الصلـوات العظيمة (قيـام الليل) وفضلـه لا يخفى فهو شـرف المؤمن، ومدح اللهُ أهلَـه في القرآن كثيـرًا فهو من صفات أهل الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[2].

---

(١) [سورة السجدة: آية ١٦]

(٢) [سورة الذاريات: الآيات ١٥-١٨]

ولا يخفى أنّ أهله في منزلة رفيعة عند الله، فهم في جانب وغيرهم من الكسالى في جانب آخر، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[1].

أهل قيام الليل نعم الرجال، وأكرم بهم مِنْ خلق، مدحهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: **"نِعْمَ الرَّجُلُ عبدُ اللهِ لو كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ"**[2].

وقوله: (نِعْمَ الرَّجُلُ) لا يعني خروج المرأة، فهي تدخل في هذا المدح إذا كانت من أهل قيام الليل.

وفي قيام الليل لذة لا يعرفها إلا من ذاقها، وآنس روحَه بهذه العبادة، كان أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: **(لَأَهْلُ الليلِ في ليلهم ألَذُّ من أهلِ اللَّهو في لَهْوهم، ولولا اللَّيل ما أحببتُ البقاءَ في الدنيا).**

والآثار في فضل قيام الليل لا تُحصى.

---

(١) [الزمر:٩]

(٢) رواه البخاري.

ويزيد أجر هذه العبادات في هذه الأيام بفضل الزمان، فالركعة فيه أفضل من الركعات في غيرها من الأوقات، وعلى المؤمن والمؤمنة أن يصبِّروا أنفسهم، ويجتهدوا في هذه العبادة حتى وإن كانوا مقصرين فيها سائر أيام العام لفضل الزمان.

تدرّب عليها فلعلها بداية العهد بهذا الشرف المنيف.

جاهد نفسك على القيام بها، فالأجر عظيم.

آثر مرضاة الله معها، فالجزاء كبير وجليل.

وتذكّر فضل هذه السجدات والركعات فالمنزلة رفيعة لأهلها، واستحضر قول نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِن أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ"**(١).

وأيقن -يا رعاك الله- أنّ قيام الليالي هذه الليالي لا يكون إلا لمن عظّم الموسم، وجعل ليله في عزلة من الناس، وآثر مناجاة الله على مسامرة المخلوقين.

---

(١) رواه مسلم.

ومن تذكّر أنها عشر ليالٍ سرعان ما تنصرم، وساعات ما أعجل مضيها، بادر في اغتنامها، ولذا كان شأن العاقل أن يجعلها كلها لله.

۞ ومن عبادات الصالحين في العشر: الصيام.

والصيامُ عبادةٌ جليلة القدر، رفيعةُ المنزلة، سامقة المكانة خصها الله لنفسه من سائر العبادات ففي الحديث يقول الله تعالى: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"(١).

وهي عبادة الأصفياء، والخُلّص الأتقياء.

كفّوا عن الطعام والشراب إرضاءً لربهم لأنّه أحبّها، وفيها من اللذة والراحة ما لا يعرفه إلا من ذاقها وعاشها، ولذا كان كثير من السلف يواصلون هذه العبادة ويداومون عليها، ويؤثرونها على الطعام والشراب وسائر الملذات، وتبعهم الأخيار في كل زمان، فكم نسمع من أخيار -من الرجال والنساء- لا يتركون صيام الإثنين والخميس، بل وصيام يوم وإفطار يوم؛ يُحدثني

(١) رواه البخاري.

أحـد الإخوة أنّ والدته من سـنوات وهي محافظة على صيام يوم وإفطار يوم، فهنيئًا لأنفسٍ تاجرت مع ربها لتنال أعظم الأجر عند لقائه.

ولعظـم مكانـة الصوم عنـد الله -أيضًـا -جعل في الجنـة بابًا خاصًـا للصائمين لا يدخل منه أحد غيرهم -رفعة لهم وتشـريفًا لهـم بين الخلائـق - وليُعرفون أنهم العُبّـاد الصائمون المؤثرون مرضاة ربهم على شهوات نفوسهم.

والصومُ مكفّر للذنوب والخطايا.

وهو السببُ الأعظم لدخول الجنة.

وشافعٌ لصاحبه، وينال به أجر الصابرين.

وهو جُنّةٌ وحمايةٌ ووقايةٌ من الشهوات.

وهنـا ملحظ مهم لعبادة الصيام وهـو: أنه معين لصاحبه على التطّهـر من الذنوب، والإنابـة لله، وهنا المعينان -بإذن الله -على أداء الطاعات والتقرّب بالنوافل هذه الأيام.

"وإذا كان من صام يومًا في سبيل الله جعل بينه وبين جهنم سبعين خريفًا"

فكيف بمن صام العشر؟!!

وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصوم العشر كلها كما في حديث هنيدة بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وبالصوم يحفظ العبد يومه، ويحرص على استغلاله، وتسمو نفسه، وترتفع نفسه عن الدنايا والآثام، ولذا نجد الصائمين في هذه العشر من أكثر الناس عبادة فيها، وأعظمهم استغلالًا لها، فاحرص أن تكون فيها من الصائمين، وإن عجزت عن صومها كلها فلا أقل من صوم بعضها، فصوم البعض خير من الحرمان.

۞ ومن عبادات الصالحين في هذه العشر: ذكر الله.

وما أعظم هذه العبادة، وما أجلّ مكانتها، وما أرفع شأنها، وما أكثر خيرها وفضلها.

ولجلالة قدرها خصها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذكر وحث عليها

(١) وهو عند أبي داود بسند حسن.

في هذه العشر فقال كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد: "ما من أيَّام أعظمُ عندَ اللهِ ولا أحبُّ إليهِ العملُ فيهنَّ من هذِه الأيَّامِ العشرِ فأكثروا فيهنَّ منَ التَّهليلِ والتَّحميدِ والتسبيح والتَّكبيرِ"(١).

فتأمل كيف يوصي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته بهذه العبادة الجليلة على الخصوص وما ذاك إلا لفضلها وعظم أجرها.

والذكرُ "خير الأعمال وأزكاها عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وخير من الصدقة بالمال وأفضل من الجهاد" كما صحت بذلك الأحاديث.

يكفي أنّ الذاكر يذكر ربه والله يذكره، وأنّ لسانه منشغلًا عن الناس بذكره مولاه.

وفي الذكر راحة وأنس وسعادة وانشراح صدر، ولذا تجد أكثر الناس ذكرًا أعظمهم انشراحًا وأنسًا.

والذكرُ: يعوّضُ عن كثير من الطاعات، ولذا كان شأن العقلاء ألا يُفوّتوا هذا الفضل بكثرة الغفلة.

ومع عِظم منزلة الذكر إلا أنك تجد الذاكرين قلة في الناس،

(١) أخرجه أحمدُ.

وندرة في الخلق.

ولكن يأتي هذا الموسم ليوقظ القلوب، ويرغب الألسنة لهذه الطاعة، ويُحبّب النفس في هذه التجارة الرابحة، ويحفزّها على أن تكون من الذاكرين، وليتذكر الذاكر أن تسبيحه في هذه الأيام خير من طاعات كثيرة متنوعة في غيرها.

وأن جلوسه للذكر تجارة رابحة يجني من وراءها غرس الجنان، فغراس الجنة:

"سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ"

ومن قال: **"سبحان الله وبحمده غُرست له نخلةٌ في الجنة"**(١).

والتهليل والتكبير والتحميد أذكار مضاعفة في هذا الموسم، فلو قيل لك إن سبحان الله والحمد لله خير لك من جهاد العدو، ماذا عساك أن تفعل!؟

فأيقن أنّها خير لك من جهاد العدو بمنطوق حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه الترمذي.

هل تريد الفلاح؟

عليك بذكر الله، فالله الكريم وهو يقول: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٠﴾[1].

لنجتهد أن نذوق ما ذاقه سلفنا الصالح من آثار الذكر، فهذه الأيام فرصة عظيمة لنيل بعض ما ناله القوم.

يحكي الإمامُ ابنُ القيِّم عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ **فيقول:** (وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنةً، من لم يدخُلْها لم يدخل جنةَ الآخرة) فاجتهد أن تدخلها، وأقرب طريق لها: طاعة الرحمن، والإكثار من ذكره.

واحذر من حرمان الخير باتِّباع الهوى والغفلة، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المَحبوس مَن حُبس قلبُه عن ربِّه، والمأسور من أَسَرَه هواه).

قال بعض الصالحين: (وإنه لتمرُّ بي أوقات أقولُ: إن كان أهل الجنَّة في مِثل هذا، إنَّهم واللهِ لفي عيشٍ طيب)

---

(١) [سورة الجمعة: الآية ١٠]

ويقول أحدهم: (مساكين أهل الدنيا خرجوا منها ولم يجدوا ألذ ما فيها، قيل وما ألذ ما فيها؟ قال الأنس بذكر الله)

فالذكر عند صفاء النفس، وحضور القلب، ومعرفة معاني أسماء الله وصفاته عند ذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لها خاصيّة عند المحبين، وأثر كبير على النفس، فدونك الباب مفتوح فلا تغلقه بالغفلة.

وهناك أذكار مخصوصة لها ثواب كبير لا تملك عند معرفة هذا الفضل إلا تتذكّر معه جود الله، وعظيم كرمه، وجلالة فضله، وسعة عطاءه، ومن هذه الأذكار:

"سبحان الله وبحمد، سبحان الله العظيم" وفيها من الفضائل ما لا يُحص.

فمن قالها **"مئة مرة لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به"**

وهي "غرس الجنة" فأكْثر غرسك فيها!

وفي الحديث **"أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ. قَالُوا: وَمَنْ يَطِيقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ بِهَا أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَيَحُطُّ عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ"**(١).

(١) رواه مسلم.

ألف حسنة في سائر الأيام والأوقات إلا العشر، فالعشر فيها الأجر مضاعف.

ومن الأذكار (كثرة الاستغفار)

يبدأ بها المؤمن يومه، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: "ما أصبحت غداة -صباحًا- إلا استغفرت الله مئة مرة"(١).

وكان هديه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كثرة الاستغفار في مجلسه وبين الناس.

ومنها (سيد الاستغفار) وفيه يقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَيِّدُ الاسْتِغْفارِ أنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَـهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ. قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ"(٢).

فالزمه هذه الأيام ولعلها سببًا للمحافظة عليه حتى تلقى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى

(٢) رواه البخاري.

وحافظ على الأذكار بعد الصلاة وعند النوم وأذكار الصباح والمساء واجعل لسانك رطبًا بذكر الله على الدوام، (متذكرًا أن العمل الصالح في هذه العشر خير من غيرها من الأيام، وهو أزكى وأعظم أجرًا).

۞ وتاج الأذكار تلاوة آي القرآن العظيم.

فاجعله أنيسك هذه الأيام، واحرص على ختمه في العشر مرة واحدة على الأقل، وإن زدت فهو أفضل، وإنّه ليسير لمن جدّ واجتهد.

۞ العشر وجلسة الإشراق:

ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: "وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى الفجر لم يقم من مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء"(١).

■ وفي هذه الجلسة فضائل ومنافع لا تحصى، ففيها:

* اتِّباع هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جلوسه وبقائه في مكانه بعد الصلاة حتى تطلع الشمس، وكم في هذا الاتِّباع من أجر.

(١) صحيح مسلم

* **وفيهـا الفوز ببركة أول النهار** فقد دعا رسـول الله صلى الله عليه وسلم لأمته في بكورها

* **وهـو فرصة لقـراءة القرآن،** فربما قـرأت جزئين أو أكثر في هذه الجلسة.

* **وهو فرصـة -أيضًا -للإكثار من ذكـر الله تعالى** (وقد كان كثير من السلف يصرفون جل هذا الوقت في الذكر)[1].

* **وفيها تقوية البدن سائر يومك؛** وكان ابن تيمية لا يفوّت هذه الجلسة كل يوم ويقول: **(هي زادي وقوتي سائر النهار).**

* **وبعدها يصلي المؤمن الموفق ركعتين لينال أجر "من صلى الفجـر في جماعـة ثم قعـد يذكـر الله حتى تطلع الشـمس ثـم صلى ركعتيـن كانت له كأجـر حجة وعمـرة تامة تامة"**[2].

(وتذكّـر دومًا أنّ العمل الصالـح أعظم أجرًا، وأجلّ فضلًا في هذه العشر)

---

(١) ذكره النووي في شرح مسلم

(٢) صحيح الترمذي.

ومن عبادات العشر (الصدقة)

وهي عبادة عظيمة، وبرهان على إيمان صاحبها، ويقينه بالخلف من الله تعالى.

قد أنزل الله في فضلها الآيات البيّنات، ووضحت سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانتها ومنزلتها.

(وهي تتباهى على سائر الأعمال فتقول: أنا أفضلكم) كما ورد بذلك الأثر عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولأثرها على صاحبها وعلى المنفَق عليها، ولمكانتها عند الله تعالى، فإنّ الله يربيها وينميها لصاحبها حتى يجعل اللقمة اليسيرة، والتمرة الصغيرة -التي يحتقرها المتصدق- كالجبل العظيم.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الكريم المتصدق يعطيه الكريم ما لا يعطي غيره جزاءً له من جنس عمله)[1].

ولجلالة قدرها جعل الله لها بابًا خاصًا في الجنة يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -في بشارته لأهل الجنة-: "ومَن كانَ مِن أهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِن بابِ الصَّدَقَةِ"[2].

---

(١) [الوابل الصيّب:٥٦]

(٢) متفق عليه.

وبعض النـاس يجعل هذه الأيام للصدقـة فبعضهم لا يخرج زكاة مالـه إلا في هذا الموسـم، وبعضهم قد رتّـب أموره للصدقة في هذه الأيّام وحرص على تنوّعها، فمرة يخرج طعامًا، ومرة ماءً ومرة كساءً وهكذا اغتنامًا لفضيلة الزمان.

وبعـض الناس يظـن أن الصدقة فقـط للأغنياء حارمًا نفسـه الصدقة وثوابها.

أخـي رعاك الله: الله كريـم يثيب على القليل كمـا يُثيب على الكثيـر، بل ربما أثاب على القليل أكثر من إثابته على الكثير وهو العليم الخبير.

وتأمـل قول رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"اتَّقُوا النَّارَ ولو بشِـقِّ تَمْرَةٍ"**(١).

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"استَتِري منَ النارِ ولو بشِقِّ تَمرةٍ، فإنَّها تَسُدُّ منَ الجائعِ مَسدَّها منَ الشبْعانِ"**(٢).

(١) رواه البخاريّ

(٢) رواه أحمد.

وفي حديث أبي هريرة يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سبقَ دِرهمٌ مائةَ ألفِ درهمٍ قالوا وَكَيفَ ؟ قالَ : كانَ لرجلٍ درهمانِ تصدَّقَ بأحدِهما وانطلقَ رجلٌ إلى عُرضِ مالِهِ ، فأخذَ منهُ مائةَ ألفِ درهمٍ فتصدَّقَ بِها"(١).

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنه أتاه مسكين وفي يده عنقود من عنب فناوله منه حبة وقال مثاقيل ذر كثيرة) فلا تحتقر صدقة يسيرة فربما كانت سببًا لدخولك الجنة.

تقول عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها: "جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ منهما تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إلى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بيْنَهُمَا، فأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقالَ: "إنَّ اللهَ قدْ أَوْجَبَ لَهَا بهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بهَا مِنَ النَّارِ"(٢).

(١) رواه النسائي وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم

فتأمّل قطعة تمرة مع رحمتها لابنتيها أوجبت لها الجنة والنجاة من النـار، فلا تحتقر صدقتك مهما صغـرت في نظرك، فربك كريم جواد سبحانه، فبادروا باغتنام فضل العمل والزمان بهذا العمل الجليل.

(وتذكّـر دومًا أنّ العمل الصالـح أعظم أجرًا، وأجلّ فضلًا في هذه العشر)

ولئـن عجزت عن الصدقة هـذه الأيام، فقـد عوّضك الله من الصدقات ما تبلغ به أجر المتصدقين فمن ذلك:

* بشاشة الوجه عند لقاء إخوانك.
* التبسّم في وجوههم.
* إظهار البهجة بهم ومعهم.

فعند عند البخاري كما جاء في الأدب المفرد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ معروفٍ صَدَقةٌ، وإنَّ من المعروفِ أن تلقى أخاك ووَجهُك إليه مُنبسِطٌ"

ومـن الصدقـات: الدلالة على الخيـر ففي حديـث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ مَعروفٍ صَدَقَةٌ"(١).

(١) رواه البخاريّ.

ومن الصدقات:

* إفشاء السلام.
* إماطة الأذى عن الطريق.
* عيادة المريض.
* إغاثة الملهوف.
* دلالة التائه وهدايته للطريق.

من الصدقات:

* حسن التعامل مع الناس؛ فتُعاشْر أهلك أحسن المعاشرة.
* الإحسان إلى الأولاد والجيران.
* وصلة الرحم.

ونحوها من التعاملات احتسب دومًا أجرها عند الله خصوصًا هذه الأيام، ولعلها تكون السبيل إلى الإصلاح في مستقبل الأيام.

۞ من أعمال البر في العشر: الدلالة على الخير.

وصور الدلالة على الخير لا تحصى، ومن أهمها: استخدام وسائل التواصل الحديثة في الحثِّ على الخير -ومن عاش قبل

ثورة الاتصالات يعرف الفرق بين حال الناس قديمًا وحالهم في هذا الزمان من معرفة الكثير بمواسم الخير، وفضائل الأعمال، فقلةٌ من النّاس كانوا يعرفون فضل ومكانة العشر -أما اليوم فبفضل الله ثمّ وسائل الإعلام الحديثة عرف النّاسُ فضلها.

فينبغي عليك أيّها المتاجر مع ربك استخدامها في الدلالة على الخير، ولا يمنعك من الدلالة ضعف عبادتك، أو ارتكابك لمعصية، فمعصيتك شأن تحتاج منك لتوبة نصوح، ونشر الخير شأن آخر، بل ربما كان نشرك للخير سببٌ لإقلاعك عن الذنوب.

فإذا أردتَ أن تكون من أتباع نبيك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **فعليك أن تسلك سبيله في الدعوة إلى الله**، وقد حثك الله على سلوك هذا السبيل بقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[1].

ألا ترغب أن تفوز بأشرف الأعمال الدال عليها قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[2].

---

(١) [سورة يوسف: الآية ١٠٨]

(٢) [سورة فصلت: الآية ٣٣].

ألا تريد أن تفوز بحسنات أمثال الجبال بغير جهد كبير منك!؟

كل ذلك وأكثر تفوز به بدلالتك على الخير.

انشر فضائل العشر.

انشر فضائل الأعمال.

املأ وسائل تواصلك بالخير. ولأنّك تتعامل مع كريم -سبحانه- فربما لن تُصدّق بكمية الحسنات عند لقاء الله والتي لم تعمل عشرها ولكنك كنت دليلًا لغيرك فعملوا بها، فدونك الباب الكبير لحسنات أمثال الجبال، وذلك فضل الله الكريم.

أيّها المؤمن وأيّتها المؤمنة.

ها أنتم قد بلغتم الموسم العظيم المبارك، وأدركتم خير أيام الدنيا، فاجتهدوا أن تكونوا فيها من الصالحين العابدين المجتهدين -ووالله -يوشك أن تنتهي، فالسعيد من اغتنمها، والناصح لنفسه من جعلها كلها لله.

تذكّر أنّها أياما معدودات.

تذكّر أنّ أهل القبور يتمنى أحدهم أن يدرك ما أدركت ولكن هيهات.

تذكّـر أنّه سـيأتي يومًا من الأيّـام وأنت حبيس قبـرك، رهين عملك، فبادر هذه الفرصة، واغتنم نعمة الإدراك لها.

أخيرًا...

اجعل الدعاءَ أنيسك، وحبلك الممدود، فلا إعانة على طاعةٍ إلا بفضـل الله، ولا توفيق لقُربة إلا برحمته، فاللهم وفقنا لاغتنام هذا العشـر، واجعلنا فيها أسـرع عبادك للطاعةً، وأرغبهم في فعل ما يرضيك.

كتبه/ عادل بن عبد العزيز الجهني

في ١٤٣٩/١١/٢٦ هـ

❊❊❊